القيم الأخلاقية في سورة الحجرات وفق نظرية الإمام الغزالي في تعليم الأخلاق (دراسة وصفية)

أ. مريم حمد جابر الغياثين المري
ماجستير تفسير وعلوم قرآن جامعة قطر
خبير شرعي أول -معلمة للقرآن الكريم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر
Malmarri4@islam.gov.qa

ملخص البحث:

تهدف الدراسة إلى تحليل وتوضيح نموذج لتعليم الأخلاق في القرآن الكريم مستوحى من منهج الإمام الغزالي، مع التركيز على سورة الحجرات لتطبيق هذه النظرية عمليًا، بما يبرز الأثر التربوي للقيم الأخلاقية القرآنية في تهذيب السلوك الفردي وإصلاح المجتمع واعتمد البحث على المنهج الاستقرائي والتحليلي، حيث تم استقراء الآيات الواردة في سورة الحجرات لاستخلاص القيم الأخلاقية التي تحملها. وتحليلها وفقًا لنظرية أبي حامد الغزالي في تفسير الآيات وذلك بالرجوع إلى كتابه (إحياء علوم الدين).

وتجلت أصالة البحث في الربط بين القيم الأخلاقية المستمدة من سورة الحجرات ونظرية الإمام الغزالي في تعليم الأخلاق، مع انسجام رؤية الإمام الغزالي التي تركز على التربية الأخلاقية مع المنهج القرآني الذي تهدف السورة إلى تحقيقه، مما أسهم في تقديم نموذج تربوي قرآني مميز، يثري الدراسات التربوية الإسلامية بطرح جديد ومتوازن يجمع بين الأصالة والمعاصرة في تعليم الأخلاق، وأهم ما توصّلت إليه الدراسة من نتائج هو أن سورة الحجرات تمثل نموذجًا قرآنيًا متكاملًا لتعليم القيم الأخلاقية التي تساهم في بناء مجتمع قائم على القيم النبيلة. وأن الإمام الغزالي اعتمد على القرآن الكريم كأساس لمنهجه التربوي، وعزز العلاقة بين المجتمع والقرآن كوسيلة لإصلاح الأفراد وبناء أمة إسلامية قوية بقيّمها وأخلاقها، وتعزيز دور القرآن الكريم في بناء شخصية الفرد المسلم.

الكلمات المفتاحية: القيم، الأخلاق، سورة الحجرات، الغزالي، التعليم .

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٠٣/٢٤م
تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٠٤/١٤م
تاريخ النشر: ٢٠٢٥/٠٦/٣٠م

هذه المقالة عبارة عن مقالة ذات وصول مفتوح وموزعة بموجب شروط وأحكام ترخيص
Creative Commons Attribution (CC BY-NC): https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الإحالة: المري، أ. مريم حمد جابر الغياثين ، ٢٠٢٥، القيم الأخلاقية في سورة الحجرات وفق نظرية الإمام الغزالي في تعليم الأخلاق (دراسة وصفية)، مجلة القلم للعلوم الإنسانية والتطبيقية (علميَّة - دوريَّة – محكَّمة) ١٢-٤٩، ص ص ١.-٢١.

Moral values in Surat Al-Hujurat according to Imam Al-Ghazali's theory of teaching ethics (Descriptive study)

Ms. Maryam Hamad Jaber AlGhayathin AlMerri
MA Student, Interpretation and Sciences of the Holy Qur'an, Qatar University
Senior Sharia Expert, Islamic Preacher, and Teacher of the Holy Qur'an, Ministry of Awqaf and Islamic Affairs, Qatar

Received (date): 24/03/2025
Accepted (date): 14/04/2025
Published (date): 30/06/2025

Abstract:

The study aims to analyze and clarify a model for teaching ethics in the Holy Quran, inspired by Imam Al-Ghazali's approach, with a focus on Surat Al-Hujurat, to apply this theory in practice. This will highlight the educational impact of Quranic ethical values in refining individual behavior and reforming society. The study relied on an inductive and analytical approach, where verses in Surat Al-Hujurat were extrapolated to extract the ethical values, they contain. These values were analyzed according to Abu Hamid Al-Ghazali's theory of interpreting verses, using his book (Ihya' Ulum Al-Din). The originality of the study was evident in the connection between the ethical values derived from Surat Al-Hujurat and Imam Al-Ghazali's theory of teaching ethics. This was in line with Imam Al-Ghazali's vision, which focuses on moral education, and the Quranic approach the surah aims to achieve. This contributed to presenting a distinctive Quranic educational model that enriches Islamic educational studies with a new and balanced approach that combines authenticity and modernity in teaching ethics. The most important conclusion of the study is that Surat Al-Hujurat represents a comprehensive Quranic model for teaching ethical values that contribute to building a society based on noble values. Imam Al-Ghazali relied on the Holy Quran as the foundation of his educational approach. He strengthened the relationship between society and the Quran as a means of reforming individuals, building a strong Islamic nation with its values and morals, and reinforcing the role of the Holy Quran in shaping the character of the Muslim individual.

Keywords: values, morals, Surah Al-Hujurat, Al-Ghazali, education.

المقدمة:

يعد القرآن الكريم مصدرًا رئيسيًا للأخلاق الإسلامية، حيث يُرشد الإنسان إلى السلوك القويم الذي يعزز الانسجام بين أفراد المجتمع، في هذا الإطار، قدم الإمام أبو حامد الغزالي رؤية شاملة لتعليم الأخلاق من خلال آيات القرآن الكريم، حيث ربط بين القيم القرآنية وأثرها في تهذيب النفس وإصلاح المجتمعات.

أهمية البحث:

جاءت أهمية موضوع الأخلاق في مجتمعنا الإسلامي المعاصر؛ للانفتاح الذي تميّز به نحو العالم، بكافة أطيافه، وتنوّع أفراده، وتزايد بظهور وسائل التواصل بأنواعها، فنزل من كل حدب فوج، ووفد إلى السهل فوج آخر، وتلك الأمواج تتلاطم بأفواج جاءت من بعيد، تعبر البحار والمحيطات لا نعرف أصلها ومنبعها، غير أنها قد اجتمعت وتم التلاقي بينها في مجالات عديدة، كان من بينها موضوعنا هذا.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث في تحقيق الأهداف الآتية:

١- التعريف بإسهامات إمام من أئمة الإسلام أبو حامد الغزالي وذلك من خلال كتابه إحياء علوم الدين.

٢- التعرّف على الوصايا الأخلاقية الواردة في سورة الحجرات.

٣- توضيح دور القيم الأخلاقية في بناء المجتمعات من خلال التنمية البشرية.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي الناقص والتحليلي، حيث تم استقراء الآيات الواردة في سورة الحجرات لاستخلاص القيم الأخلاقية التي تحملها. وتحليلها وفقًا لنظرية أبي حامد الغزالي في تفسير الآيات. وذلك بالرجوع إلى كتابه (إحياء علوم الدين).

إجراء البحث وطريقته:

تم الاعتماد في الدراسة على الآتي:

١- عزو الآيات القرآنية الكريمة بذكر اسم السورة ورقمها وتمييزها بالرسم القرآني والقوسين.

٢- تخريج الأحاديث النبوية، وعزوها إلى مصادرها من كتب التخريج.

٣- التوثيق من المصادر الأصلية.

٤- ترجمة الأعلام بقدر الجهد، وما وصلت إليه دائرة البحث.

٥- الاعتماد على استعمال لفظ -الإمام الغزالي- بإطلاقه أو ذكر لفظ -الإمام- وأعني بها الإمام الغزالي.

٦- التوثيق من طبعة واحدة عند تعدد الطبعات.

الدراسات السابقة:

تُشكّل الدراسات السابقة ركيزة هامة لفهم الأبحاث الحالية وتوجيهها، وفهم السياق العام للبحث. سيتم عرض أبرز الدراسات التي تناولت الموضوع من زوايا مختلفة، والتي وجدت عددا منها يتلاقى مع بحثي في بعض جزئياته، واخترت أهم هذه الدراسات وهي كالآتي:

١. الريحاني: محمد، تفسير الامام الغزالي، (المغرب: مؤسسة البحوث والدراسات العلمية، ط١، ١٤٣١هـ)، تتبع الريحاني مؤلفات الإمام الغزالي وجمع منها الآيات التي فسّرها وجعلها في كتاب واحد. جمعه ووثّقه وقدّمه، ووثّق المصادر التي جمع منها، وهو تفسير شامل لجميع ما تم جمعه، وبحثي يختلف عنه لكونه محدد لموضوع الأخلاق وآيات محددة مستنبطة من كتاب محدد وهو الإحياء.

٢. الدغامين: زياد خليل محمد. نظرية الإمام الغزالي في التعامل مع القرآن قراءة وفهما وتفسيرًا، ١٩٩٦م، جمعية المسلم المعاصر، مجلة المسلم المعاصر، ٣٨صفحة. تناولت هذه الدراسة نظرية الإمام الغزالي في التعامل مع القرآن قراءة وفهمًا وتفسيرًا، من خلال منهج الغزالي في قراءة القرآن وفهمه، وذلك باتباع منهجه في التفسير الذي جمع بين علوم القرآن والتربية، ودراستي تزيد على ما ذكره الباحث وتتوسع في تطبيق هذا المنهج على الواقع بالإضافة إلى تسليط الضوء على أساليب التعليم والتعلّم في حلقات مراكز تحفيظ القرآن الكريم.

٣. دخل الله: أيوب. التربية الإسلامية عند الإمام الغزالي، ١٩٩٦م، كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، المكتبة العصرية للنشر، ٣٣٦ صفحة. تناولت هذه الدراسة آراء وأفكار الإمام الغزالي التربوية وتحليلها وتفسيرها، بإبراز جهد المفكر العالم الإسلامي الذي أسهم في الحضارة الإنسانية، والقصد من ذلك أن تعود ثقة المسلمين بأنفسهم حيث إنهم هم أول من كتب في التربية قبل الغرب بمئات السنين، تحدث الباحث عن عصر الغزالي والأحوال البارزة فيه، ثم تطرق إلى سيرة الغزالي و تجاربه ورحلاته، وختم بحقيقة نجاح الغزالي في تقديمه للناس فكرًا تربويًا يبني الإنسان ويعلّمه ما ينفعه، بداية بتعلم القرآن وفهمه كما جاء به الغزالي في كتاب الإحياء، ثم تطرق الباحث إلى حقيقة وضع الأهداف للمناهج على أساس مراعاة حال المتعلم والمعلم والفروق الفردية في ذلك من خلال ما تم استنباطه من منهج الغزالي، ودراستي تختلف عن هذه الدراسة من

ناحية تطبيق النظريات التي جاء بها الغزالي على محيط المراكز القرآنية، ومقارنة بين ما جاء به الغزالي وما أشاهده في واقعنا.

هيكل البحث:

اقتضت طبيعة البحث إلى تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس المصادر والمراجع.

المقدمة وفيها: مشكلة البحث وأهميته وطريقته والدراسات السابقة، وأهداف البحث ومنهجه وهيكله.

المبحث الأول: التعريف بالإمام الغزالي وكتابة الإحياء، وفيه:

المطلب الأول: التعريف بالإمام الغزالي.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب إحياء علوم الدين.

المبحث الثاني: القيم الأخلاقية في كتاب (إحياء علوم الدين)، وفيه:

المطلب الأول: تعريف الأخلاق لدى الإمام الغزالي.

المطلب الثاني: الأخلاق قابلة للتطوير.

المبحث الثالث: وصايا أخلاقية من سورة الحجرات، وفيه:

المطلب الأول: الوصية الأولى: الأدب مع الله ﷻ ورسوله ﷺ..

المطلب الثاني: الوصية الثانية: التثبّت من الأخبار وعدم التسرّع بالأحكام.

المطلب الثالث: الوصية الثالثة: الحث على الإصلاح بين المؤمنين.

المطلب الرابع: الوصية الرابعة: الحذر من السخرية والتنابز بالألقاب ونبذها.

المطلب الخامس: الوصية الخامسة: اجتناب سوء الظن والتجسس والغيبة.

المطلب السادس: الوصية السادسة: تأكيد المساواة بين الناس وعدم التفاضل إلا بالتقوى.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التعريف بالإمام الغزالي وكتابه الإحياء

المطلب الأول: التعريف بالإمام الغزالي:

اسمه ونسبه: هو الفقيه أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي الشافعي، الغزالي بتسهيل الزاي وليس بتشديدها كما قيل، فقد روي عنه أنه أنكر هذا وقال: "إنما أنا الغزالي بتخفيف الزاي منسوب إلى قرية من قرى طوس يقال لها غزالة"[١] إمام عصره، ولد بمدينة طوس[٢] بخراسان[٣] وتوفي بها.

علمه وفقهه: تفقه الإمام الغزالي على يد عدد من العلماء[٤]، ودرس وأفتى، تجوّل في طلب العلوم ونبغ فيها وبرع، وصنّف التصانيف الفريدة والمفيدة في الأصول والفروع، وله أكثر من مائتي

كتاب ورسالة ومقالة[٥]، ثم زهد في كل ما وصل إليه، ولازم الصوم ومناجاة الله ﷻ وذهب للحج، ثم قدم إلى بيت المقدس، وبدأ في تصنيف كتابه الإحياء)[٦]

وتممه بدمشق، فأقام بمدينة دمشق مدة يذكر الدروس في زاوية الجامع في الجانب الغربي منه، وانتقل منها لبيت المقدس، واجتهد في العبادة، ثم قصد مصر وأقام بالإسكندرية مدة، ثم عاد إلى بلده طوس فأقام بها، وابتنى رباطا واتخذ دارا، وغرس فيها بستانا، وأقبل على تلاوة القرآن وتعليمه وحفظ الأحاديث والتفقه في الفقه[٧].

عُرف الإمام الغزالي بألقاب كثيرة منها: حجة الإسلام، إمام أئمة الدين، الإمام البحر، أعجوبة الزمان، زين الدين، إمام الفقهاء، محجة الدين، وغيرها.

وفاته: مات الإمام حجة الإسلام [٨]، وكل مخلوق لابد أن يموت، وسنة الله جارية، وليس كل من مات بقي، كحال إمامنا الغزالي وغيره من علمائنا ﷺ الذين نرى في بقاء تراثهم امتدادا لثوابهم، وهي البشارة التي يستبشر بها كل مسلم بمصداق حديث النبي ﷺ: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[٩].

أخبر أحمد[١٠] لما كان صباح يوم الاثنين توضأ أبو حامد وصلى، وقال عليّ بالكفن فأخذه وقبّله، وتركه على عينيه وقال سمعا وطاعة الدخول على الملك ثم مد رجليه واستقبل القبلة ومات قبل الإسفار[١١].

توفي الإمام الغزالي في يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة من عام ٥٠٥هـ الموافق: ١١١١م بطوس، ودفن بها وسئل قبل موته من بعض أصحابه: أوص، فقال: عليك بالإخلاص، فلم يزل يكررها حتى مات[١٢]. ورثاه الأديب أبو المظفر محمد الأبيوردي[١٣]:

مضى وأعظم مفقود فجعت به ... من لا نظير له في الناس يخلفه

وتمثّل الإمام إسماعيل الحاكمي[١٤] بعد وفاته بقول أبي تمام من جملة قصيدة مشهورة:

عجبت لصبري بعده وهو ميت ... وكنت امرءا أبكي دما وهو غائب

على أنها الأيام قد صرن كلها ... عجائب حتى ليس فيها عجائب

كانت خاتمة حياته إقباله على طلب الحديث الشريف ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين، ولو عاش لسبق الكثير في ذلك العلم بيسير من الأيام ولم يتفق له الرواية، ومضى -رحمه الله- ودُفن بظاهر قصبة طابران[١٥].

المطلب الثاني: التعريف بكتابه (إحياء علوم الدين):

يعتبر كتاب (إحياء علوم الدين) من أبرز مؤلفات الإمام الغزالي، ألفه لإحياء علوم الدين الذي رأى بأنها ماتت فبرز في الإحياء منهج الإمام الغزالي في التكامل المعرفي بين العلوم وتأثير العلوم

الدينية على غيرها. واشتمل كتابه على أربعة أرباع، يتناول كل ربع منها موضوعًا محددًا على النحو التالي:

١- الربع الأول: ربع العبادات ويحتوي على عشرة كتب، وهي كتاب العقائد، والعلم، والطهارةُ، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، انتهاءً بذكر آداب تلاوة القرآن الكريم، والأذكار والدعاء، وأوراد المسلم في يومه وليلته.

٢- الربع الثاني: ربع العادات ويحتوي على عشرة كتب أيضًا، في الأخلاق، والعلاقات، كالحديث عن آداب الأكل، والزواج، وآداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها.

٣- الربع الثالث: ربع المُهلكات، ويشتمل على عشرة كتب أخرى، في الحديث عن الشهوات كشهوة النفس والفرج والبطن، وحال القلوب، وذم الدنيا وحب المال وغيرها من الشهوات.

٤- الربع الرابع: ربع المُنجيات، ويتضمن الحديث عن التقوى والزهد، والشكر والصبر، والرجاء والخوف، وغيرها من المنجيات.

نسعى في هذا البحث لاستنباط منهج معرفي سلوكي لتعليم الأخلاق القرآنية من تراث الإمام الغزالي، من سورة الحجرات، ومقتصر على ما هو موجود في كتابه هذا.

المبحث الثاني: القيم الأخلاقية في كتاب (إحياء علوم الدين)

أهمية تعليم الأخلاق لدى العلماء:

اهتم العلماء المسلمون ﷺ قبل قرون بتناول الجانب المعرفي والسلوكي للأخلاق الإسلامية، وكان من ضمنهم حجة الإسلامﷺ، وما نقله لنا من تراث استقاه من القرآن الكريم والسنة النبوية كفيل بأن نسير على نهجه، وكان من أبرز كتبه التي تضمنت الحث على الأخلاق الإسلامية والسمو بها، وتزكية النفس البشرية ورفعتها من كل ما يدنسها، هو كتاب (إحياء علوم الدين) الذي سنستقي منه -بعون الله- المنهج الأخلاقي الإسلامي من خلال سورة الحجرات.

تأتي أهمية الجانب الأخلاقي، في شخصية الفرد المسلم، تأسيًا بالقدوة الُمثلى ﷺ الذي كان أكرم الناس خُلقًا، كما ورد عن عبد الله بن عمروﷺ قال: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا، وكان يقول: "خياركم أحاسنكم أخلاقا"(١٦).

المطلب الأول: تعريف الأخلاق لدى الإمام الغزالي:

عرّفها الإمام الغزالي في كتابه الإحياء، بأن الخُلق: "عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها، تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا، وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من

يصدر منه بذل المال على النذور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء، ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ، وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية؛ لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم"[١٧]، فبالتالي الأخلاق لابد معها من الرسوخ واليسر، فالخُلق الذي نجد فيه تكلّف وعدم رسوخ فليس بخُلق يتصف به صاحبه.

وحدد الغزالي للأخلاق أمهات ومحاسن وفضائل، وخصصها في أربعة وهي: الحكمة والعفة والشجاعة والعدل[١٨]، وأرى بأن هذه الصفات هي نفسها التي يشترط أن تكون في الحاكم المسلم أو القاضي في شؤون المسلمين، أو من تولّى منصبًا مهمًا في الدولة الإسلامية، أن يمتلكها جميعها دون تفريط في بعضها؛ حتى يستقيم حال بلاد المسلمين ويعود للعزة والمجد الذي كان يرفل في نعيمه، وقياسًا على ذلك فإننا في زمن نحتاج تلك المحاسن تكون حاضرة في معلم القرآن؛ كونه على ثغر عظيم، وبصلاح القدوة يصلح المجتمع.

المطلب الثاني: الأخلاق قابلة للتطوير:

وضّح الإمام الغزالي أن الأخلاق قابلة للتغيير، وأي سلوك يمكن أن يتغيّر، ومن قال خلاف ذلك أن الطباع لا تتغير، هم من غلبت عليهم البطالة باستثقال مجاهدة النفس، ولم يشتغل بالتزكية والتهذيب[١٩]. وندلل على كلام الإمام بما ورد في القرآن والسنة من وصايا وأوامر في الحث على الأخلاق الحسنة، منها ما قاله الحق ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8)قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا(10) ﴾ [الشمس: ٧-١٠]، وقد سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: "تقوى الله وحسن الخلق"[٢٠]

قال الإمام: "حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة، وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة، وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضا وهذا الاعتدال يحصل على وجهين:

أحدهما: بجود إلهي وكمال فطري بحيث يخلق الإنسان ويولد حسن الخلق فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى بن مريم، وكذا سائر الأنبياء -عليهم السلام-.

والوجه الثاني: اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة، فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة، وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقا له، وطبعا فيتيسر عليه، وجميع الأخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق إلى أن ترسخ ويستلذ بها صاحبها، ولن ترسخ الأخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة وما لم تواظب عليه مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة"[٢١]

وما قاله الإمام قد لا يمكن تطبيقه على جميع الفئات العمرية في مراكز القرآن الكريم، لغياب حقيقة أصل المعنى الكلي عن ذهن الدارسة، فكيف لطفلة أن تميّز بين الشرع والعقل؟! أم كيف الحال لفئة الفتيات اللاتي هن في عمر تضطرب فيه المشاعر، وتختلف الأفكار والاتجاهات بين فترة وأخرى؟

ولكن المسلم الذي يتعلم في الحلقات التي يكثر فيها ذكر الله ﷻ، وتتلى على أسماعه عظيم الآيات، يكون أكثر رغبة للتغيير الإيجابي، وتزكية النفس وتهذيبها، والارتقاء بالأخلاق وخاصة إذا حظي بتوجيه المعلم الناصح، على النحو السديد، حتى وإن كانت بيئته التي ينتمي إليها لا تدعم التغيير للأفضل، أو كان مُرغمًا في التحاقه بحلقات التحفيظ كما هو الحال في بعض الدارسات، اللاتي نراهم من فئة الأطفال والفتيات خاصة، منهن من لا تكون لديها الرغبة في المجيء، وتستثقل الخطى في الحفظ والمراجعة، فانعكس ذلك الإجبار وتلك المشاعر على سلوكها نحو المعلمة والزميلات، فكم منهن من تغيّرت للأفضل بشكل جذري بفضل الله تعالى ثم بتوجيه معلمة القرآن، وهذا يؤكد تأثير الحلقات القرآنية على الأخلاق والسلوك الإنساني.

المبحث الثالث: وصايا أخلاقية من سورة الحجرات

أبرز ما ركزت عليه الآيات الكريمة في سورة الحجرات (١-١٢)، الآتي:

١- الأدب مع الله ﷻ ورسوله ﷺ.

٢- التثبّت من الأخبار وعدم التسرّع بالأحكام.

٣- الحث على الإصلاح بين المؤمنين.

٤- الحذر من السخرية والتنابز بالألقاب ونبذها.

٥- اجتناب سوء الظن والتجسس والغيبة.

٦- تأكيد المساواة بين الناس وعدم التفاضل إلا بالتقوى.

وهذه الوصايا أرى أنها بمثابة عقد أخلاقي يُبرم بين المسلم وربه ﷻ، ونبيّه ﷺ، ثم الدوائر المحيطة به من المجتمع الذي يعيش فيه، وتبقى قوة إبرام هذا العقد من قوة إيمان المرء، فكلما قل اتّباعه للهُدى ارتخى إبرامه. وفيما يلي سيكون توضيحًا موجزًا لما سبق ذكره، لنصل إلى تهذيب الأخلاق الإنسانية، ورقي التعامل مع الآخرين كما يريد منّا ربنا ويرضى.

المطلب الأول: الوصية الأولى الأدب مع الله ﷻ ورسوله ﷺ

قال تعالى في مطلع السورة المباركة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ١-٢]، جاء النداء للمؤمنين ثم تبعه النهي عن تقديم ما سوى أمر الله ﷻ ورسوله ﷺ عليهما، وفي هذا

بيان أول مادة في العقد المبرم، وهي أول الحقوق و أعظمها في الأداء: حق الله ﷻ ورسوله ﷺ، فمن جاهد في تقديم حقه ﷻ فهو على خير عظيم وفوز من الله مبين في دنياه وآخرته، فتقوى الله واجبة على كل عبد يبتغي الارتقاء في نفسه ومجتمعه، ولا تكتمل صورة التقوى بحقيقتها إلا بتعظيم حق رسولنا الكريم ﷺ؛ فطاعته مقرونة بطاعة الله ﷻ وحقه متصل بحقه ﷻ ، وتكرر هذه المعنى في آيات كثيرة من القرآن الكريم.

ومعلم القرآن ومتعلمه هم أكثر الناس حاجة لهذا التعظيم؛ لينالوا شرف التكريم، فعندما يمضي اليوم في تلاوة آيات الله وحفظها وفهمها ودراستها، واتبّاع هدية ﷺ في التخلق بخلق القرآن الكريم، فإن البركة تسري في جميع الأوقات، وما كان يفعله معلم القرآن ومتعلمه في شهر، صار يفعله في أسبوع، وذلك بعد تقديم القرآن الكريم على غيره.

وقد أورد الإمام الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) كما ذكرنا آنفًا، كتابًا سمّاه: (آفات اللسان)، وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات؛ وما جاء هذا الإيراد إلا لخطورة اللسان البالغة، التي قد تورد صاحبها للمهالك -نسأل الله السلامة-.

فقد قال الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ: "ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: فأخذ بلسانه قال: كف عليك هذا، فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم"[٢٢]

قال الغزالي: "ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيّده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله، وعلم ما يحمد فيه إطلاق اللسان، أو يذم غامض عزيز، والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقل عسير، وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان؛ فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه"[٢٣]، فاللسان إن لم يمسكه صاحبه فقد يورده المهالك، وفيما يأتي من وصايا مرتبطة بأعمال اللسان، وجاء التوجيه الربّاني لتقويم سلوك المسلم في التعامل مع هذه الجارحة الصغيرة في المبنى والعظيمة في المعنى وما تتركه من أثر.

المطلب الثاني: الوصية الثانية: التثبت من الأخباروعدم التسرع بالأحكام

قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، تكرر النداء للمؤمنين، وفي ذلك دلالة واضحة بأن المؤمن هو المخاطب بالدرجة الأولى، وما دونه من المسلمين أيضًا يشملهم هذا النداء، وعليه أن يكون متّبعًا لأمر الله في معاملاته وعلاقاته مع المحيطين من حوله، حَذِرًا من مكائد الشيطان وأعوانه من الوقوع في الظلم؛ بسبب التسرّع في الأحكام دون التأكّد من صحة الأخبار التي وصلت إليه، وقد

أشـار الإمام الغزالي إلى هذا الأمر بقوله: "إن للشـيطان مداخل و أبوابا يدخل بها على المسـلم، ومن أبوابه العظيمة: العجلة وترك التثبت في الأمور"[٢٤].

نهت الآية الكريمة عن فعل نقل الكلام والإفساد بين طرفين، وهذا السلوك هو ما يفعله النمّام الذي يمشـي بالنميمة بين الناس، وقد نهى الشـرع عن هذا الفعل المشـين في غيرها من الآيات والأحاديث، وجاءت تسـمية النميمة عند الإمام الغزالي "على من ينم[٢٥] قول الغير إلى المقول فيه كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليسـت النميمة مختصـة به بل حدّها كشـف ما يكره كشـفه سـواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه، أو كرهه ثالث وسـواء كان الكشـف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيماء، وسـواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال وسـواء كان ذلك عيبا ونقصا في المنقول عنه أو لم يكن "[٢٦].

وحقيقة النميمة عند الإمام هي: "إفشـاء السـر وهتك السـتر عما يكره كشـفه بل كل ما رآه الإنسـان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسـكت عنه إلا ما في حكايته فائدة لمسـلم أو دفع لمعصية"[٢٧]

أسباب النميمة وبواعثها:

ذكر الإمام أن باعث النميمة يكون إحدى ثلاثة[٢٨]، وبرأيي قد لا يكون السـبب واحدًا فقط، بل قد يتعدى إلى اثنين أو قد تكون الثلاثة مجتمعة سببًا للنميمة، والأسباب هي:

١- إرادة السوء للمحكي عنه.

٢- إظهار الحب للمحكي له.

٣- التفرّج بالحديث والخوض في الفضول والباطل.

وأهمية معرفة هذه الأسـباب قد تزيل عن المؤمن الوقوع في الإثم، من سـوء الظن للمحكي عنه، أو غير ذلك من آثام القيل والقال، وهي في حق أهل القرآن أوجب بالمعرفة؛ لاجتناب سـوء الأخلاق وتهذيب السلوك والارتقاء بالروح؛ لما عرفت من عظيم الآيات.

نصائح هامة لمن وصلت إليه نميمة من أحد

وكل من حملت إليه النميمة وقيل له إن فلانا قال فيك كذا وكذا، أو فعل في حقك كذا، أو هو يدبر في إفساد أمرك أو ما يجري مجراه، فعليه تطبيق ما أورده الإمام الغزالي من ستة أمور، وهي:

الأول: ألا يصـدقه لأن النمام فاسـق وهو مردود الشـهادة، واسـتدل بقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ [الحجرات: ٦].

الثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصـح له ويقبح عليه فعله، فالأمر بالمعروف واجب على كل مسـلم ومسلمة.

الثالث: أن يبغضه في الله تعالى فإنه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى

الرابع: أن لا تظن بأخيك الغائب السوء، لقول الله ﷻ: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾

الخامس: أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتحقق اتباعا لقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾

السادس: أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وقد تكون قد أتيت ما عنه نهيت.

أوردت هذه النقاط الستة باختصار مما أورده الإمام الغزالي ﷺ وبيّنه ودلّل عليه وعلّل[٢٩]، ويمكن أن تُكتب في الحلقات القرآنية كإرشادات وومضات يحتاجها كل مسلم قد يصل إليه كلام عن غيره، فماذا عليه أن يفعل؟ وكيف يتصرف؟ فتأتي الإجابة بالنقاط الستة التي تم ذكرها.

فإذا أدرك معلم القرآن حقيقة النميمة، وأسبابها وبواعثها وانتبه ونبّه غيره، وبيّنه لمن هم في عداد رعيته من الطلاب، وأسد النصائح من خلال التجارب التي يعيشها في الحلقات القرآنية، وأرشد لمن وصل إليه نميمة من أحد بالسلوك الصائب الممنهج كما فصّله الإمام الغزالي ﷺ، ولا نغفل عن طريقة التوجيه المناسبة للمرحلة العمرية التي يقوم بتدريسها؛ ستخف بالتالي هذه الظاهرة البغيضة شيئًا فشيئًا من الحلقات القرآنية سواء في علاقة المتعلم بالمعلم، أو علاقة المتعلمين ببعضهم البعض، أو حتى في علاقة المعلم مع الزملاء.

المطلب الثالث: الوصية الثالثة: الحث على الإصلاح بين المؤمنين:

قال ﷻ: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات: ٩]

ذكر الإمام الغزالي في كتابي آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن الإصلاح بين المؤمنين، واستدل بأحاديث عديدة تحث على إصلاح ذات البين من المسلمين مهما وجد إليه سبيلا [٣٠]، منها قوله ﷺ: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين، الحالقة"[٣١]، اجتمع الترغيب والترهيب في حديث واحد؛ للحث على اتباع نهج المصلحين، ونبذ نهج المفسدين.

قال الغزالي في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا..﴾ [الحجرات: ٩] "إن الإصلاح نهي عن البغي وإعادة إلى الطاعة، فإن لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله، فقال ﷻ: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ وذلك هو النهي عن المنكر"[٣٢]

وأجاز الإسلام دين المحبة والسلام أن يكذب المسلم لأجل مطلب الإصلاح بين المتخاصمين، ودليل ذلك ما روته أم كلثوم بنت عقبة (رضي الله عنها)، أنها سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: "ليس الكذّاب الذي يصلح بين الناس، ويقول خيرا وينمي خيرا"[٣٣] واستدل الغزالي ﷺ من هذا الحديث على وجوب الإصلاح بين المتخاصمين، بقوله: "وهذا الحديث يدل على وجوب الإصلاح بين الناس؛ لأن ترك الكذب واجب، ولا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه"[٣٤]

وصاحب القرآن لا يليق به أن يكون في بيئة تكسوها الخصومة والشحناء، فأثر القرآن يجب أن يظهر في تطبيقاته العملية لنفسه وللمحيطين من حوله، فيجتهد إن رأى خصومة أن يصلح بين أطرافها، ويؤلف بينهم، وإن تكبّد العناء، وتكلّف، واضطرّه الإصلاح إلى أن يكذب لغرض إصلاح المتخاصمين، فلا يتوانى عن السباق في سبيل الإصلاح بين المسلمين بالطرق المباحة، لابد أن يكون أبعد الناس عن الكذب، وأقربهم للصدق، إلّا أن يكون الأمر فيه إصلاح بين المتخاصمين، فقد أجاز الشرع بتجاوز عقبة حرمة الكذب والترخيص في اقتحامها بقدر الحاجة إليها.

المطلب الرابع: الوصية الرابعة: الحذر من السخرية ونبذ التنابز بالألقاب:

قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١]

ذكر الإمام الغزالي في باب آفات اللسان أن السخرية والاستهزاء من الأسباب الباعثة للغيبة، مبينًا تحريمهما، حيث استدل بالآية الكريمة التي تم ذكرها ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾، ثم قال في معنى السخرية أنها: "الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء، وكل ما يرجع إلى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه نبه عليه قوله ﷻ: ﴿عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ أي لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك، وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به"[٣٥] وطريقة الاستهزاء والتحقير والتهاون بيّنها الإمام ﷺ سواء كان بالضحك على كلام المتكلم إذا تخبط فيه، أو على أفعاله إذا كنت مشوشة، أو على صنعته وعلى خطه أو على صورته وخلقته إذا كان قصيرا أو طويلا، أو ناقصا، فالضحك من جميع ذلك وما شابه، داخل في السخرية المنهي عنها [٣٦]، وتحرم في حق من يتأذى منها، أما إن كانت السخرية من باب المزاح وليس منهم من يتأذى فهذا أمر آخر، لا يُقصد به في المعنى المراد من الآية الكريمة، وإن كان الأولى ترك المزاح فيه.

وتنشأ السخرية والاستهزاء من التكبر واستصغار الخلق، وتعتبر من البواعث على الغيبة وسيأتي تفصيل في هذا الجانب عند الحديث عن الغيبة وسيكون في الوصية الآتية بإذن الله تعالى.

المطلب الخامس: الوصية الخامسة: اجتناب سوء الظن والتجسس والغيبة:

قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]

قال الإمام الغزالي ﷺ "ومن أبواب الشيطان سوء الظن بالمسلمين قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ فمن يحكم بشر على غيره بالظن، بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه، أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بعين الاحتقار، ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم، فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فإن الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر، فمهما رأيت إنسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب، فاعلم أنه خبيث الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه وإنما رأى غيره من حيث هو، فإن المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق"[٣٧]

جاء في حديث صفية أم المؤمنين (رضي الله عنها) أنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم معتكفا، فأتيته أزوره ليلا، فحدثته، ثم قمت لأنقلب، فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: على رسلكما، إنها صفية بنت حيي فقالا: سبحان الله يا رسول الله، قال: "إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرا، أو قال: شيئا"[٣٨]، كان هذا سلوك خير البشر ﷺ؛ لمعرفته بمداخل الشيطان على عباد الله وإن كانوا خير القرون، فالاحتراز أولى حتى لا يتبادر في الذهن خلاف الحقيقة. وقد قال الإمام الغزالي ﷺ: "انظر كيف أشفق ﷺ على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة؛ حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله فيقول مثلي لا يظن به إلا الخير إعجابا منه بنفسه، فإن أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة، بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضه"[٣٩]، بدر هذا السلوك منه ﷺ لمعرفته بالطبيعة البشرية، وهو في مقام القدوة التي يقتدي به العالمون، فيكون بذلك قد أعطى درساً تطبيقياً في السلوك المفترض اتباعه حيال المواقف التي قد تجلب سوء الظن في المجتمع.

التجسس: قال ﷻ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ بيّن الغزالي ﷺ "أن التجسس يكون من ثمرات سوء الظن؛ لأن القلب لا يقنع بالظن، ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضا منهي عنه، فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة"[٤٠]، وقد يكون التجسس غير مرتبط بسوء الظن، بل طبع جُبل صاحبه عليه، ومن اعتاد سلوكاً معيّناً ألِفَه، وصار من الصعب تغييره.

ومعنى التجسس عند الغزالي ﷺ هو: التوصّل إلى الاطلاع وهتك الستر، حتى ينكشف للمرء ما لو كان مستورا عنه كان أسلم لقلبه ودينه، فلا يترك المتجسس عباد الله تحت ستر الله[٤١]

الغيبة: قال ﷻ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾، وروي عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه ﷺ: "أتدرون ما الغيبة؟" قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "ذكرك أخاك بما يكره" قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: "إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته. وإن لم يكن فيه، فقد بهته"[٤٢]

عرّف الإمام الغزالي ﷺ الغيبة بأنها: "ذكر أخاك بما يكرهه، سواء ذكرته بنقص في بدنه أو نسبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه، حتى في ثوبه وداره ودابته"[٤٣]

وفي التعريف السابق بيان أن الغيبة تشمل كل ما يرتبط بالشخص، وليس مقتصرًا على أمر معيّن، وكذلك الحال فيما يترتب على اللسان، بل قد تتجاوز لغير ذلك من الجوارح، فقال ﷺ منبهًا: "اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهيم الغير، نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول والإشارة والإيماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام"[٤٤]، ودليل ذلك ماروته أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، حكت امرأة عند النبي ﷺ ذكرت قصرها، فقال النبي ﷺ: "قد اغتبتها"[٤٥] نهي النبي ﷺ للمحاكاة وقوله بأنها غيبة دليل جازم على أن الغيبة ليست باللسان فحسب، وقال الغزالي ﷺ: "و المحاكاة يمشي متعارجا أو كما يمشي فهو غيبة، بل هو أشد من الغيبة لأنه أعظم في التصوير والتفهيم"[٤٦] اعتبر الغزالي ﷺ أن المحاكاة أشد من الغيبة؛ لما ذكر.

بيان الأسباب الباعثة على الغيبة ومآلها:

قال الإمام الغزالي: "إن البواعث على الغيبة كثيرة منها: السخرية والاستهزاء استحقارا له، فإن ذلك قد يجري في الحضور ويجري أيضا في الغيبة، ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزئ به"[٤٧]، وجاءت الأحاديث الشريفة محذّرة من عاقبة الكبر ومآله، ومنها قوله ﷺ: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر"[٤٨]، وكذلك التحذير من عاقبة الغيبة في إحباط العمل، حيث قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل، وتصدق، وتؤذي جيرانها بلسانها؟ فقال رسول الله ﷺ لا خير فيها، هي من أهل النار[٤٩] جاءت الغيبة لتحبط العمل، وتنال شر مقر يوم القيامة.

وختامًا قد يتبادر للذهن هل هناك حالات تجوز فيها الغيبة؟

الجواب نعم، توجد حالات حددها الشرع الحنيف، ومنها ما كان لحاجة في جلب حق أو دفع مفسدة، كما جاء في قصة هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان، عندما دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل شحيح، لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني، إلا ما

أخذت من ماله بغير علمه، فهل علي في ذلك من جناح؟ فقال رسول الله ﷺ: "خذي من ماله بالمعروف، ما يكفيك ويكفي بنيك"[٥٠] استمع لها خير معلم ﷺ ولم ينهى غيبتها في زوجها، وأخذها من ماله بغير إذن، بل أقرّها فيما فعلت.

الوصية السادسة: تأكيد المساواة بين الناس وعدم التفاضل إلا بالتقوى

قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]

قال الإمام الغزالي في تفسير قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ أي لا تفاوت في أنسابكم لاجتماعكم في أصل واحد، ثم ذكر فائدة النسب من قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾، ثم بيّن أن الشرف بالتقوى لا بالنسب لقوله ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٥١]

ذكر الإمام الغزالي أن من أسباب الكِبْر عند الناس: العجب بالنسب، و ركّز على العجب بالنسب الشريف بقوله: "حتى يظن بعضهم أنه ينجو بشرف نسبه ونجاة آبائه وأنه مغفور له، ويتخيل بعضهم أن جميع الخلق له موال وعبيد، وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد جهل، وإن اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والازدراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به، فمن عرف هذه الأمور وعلم أن شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم في التقوى"[٥٢]

ولو كان الشرف في النسب لما تعذّب في النار من اشترك في النسب الشريف، كأبي طالب وأبي لهب!، فلا نجاة بعد رحمة الله ﷻ إلا بالتقوى.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث، يتضح أن القرآن الكريم يقدم نموذجًا متكاملًا لتعليم الأخلاق، حيث يجمع بين المبادئ النظرية والتطبيقات العملية. وقد أظهرت سورة الحجرات بوضوح كيف يمكن للآيات القرآنية أن تكون مرجعًا أخلاقيًا شاملًا، يعزز القيم الإنسانية مثل الصدق، والتسامح، واحترام الآخرين.

أهم نتائج البحث:

١- أثبتت الدراسة أن نظرية الإمام الغزالي في تعليم الأخلاق ترتكز على بناء النفس البشرية وتنميتها وفقًا للقيم القرآنية.

٢- أكدت الدراسة أن سورة الحجرات تقدم منهجًا متكاملًا في التربية الأخلاقية يسهم في تعزيز الفضيلة والتسامح وتقوية الروابط الاجتماعية.

٣- أثبتت الدراسة أن دمج القيم القرآنية في التعليم بشتى مجالاته، يساهم في بناء مجتمعات أكثر تماسكًا.

٤- ظهر من خلال البحث إمكانية تطبيق نموذج تعليم الأخلاق وفق نظرية الغزالي في الحياة المعاصرة لمعالجة التحديات الأخلاقية.

أهم التوصيات والمقترحات:

١- التركيز على القيم الأخلاقية القرآنية التي تقدمها سورة الحجرات باعتبارها قاعدة أساسية لتطوير الأخلاق والارتقاء بالمجتمعات.

٢- تطوير وسائل تعليمية وبرامج تدريبية تساعد الأفراد على استيعاب القيم القرآنية وتطبيقها في الحياة اليومية.

٣- تقديم دعم أكبر للأبحاث العلمية التي تتناول مواضيع القيم الأخلاقية في القرآن الكريم، وتخصيص منح بحثية لدراسة تطبيق القيم الأخلاقية القرآنية في السياقات الثقافية والاجتماعية المعاصرة.

٤- تشجيع التعاون بين العلماء والمربين والمؤسسات التعليمية لنشر القيم الأخلاقية المستوحاة من القرآن بطرق مبتكرة ومؤثرة.

٥- إشراك المجتمع المحلي في نشر وتعزيز القيم الأخلاقية من خلال الأنشطة التوعوية والمبادرات الثقافية.

هوامش البحث:

(١) النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، ص٢١٥.

(٢) مدينة كبيرة بخرسان، حسنة المباني كثيرة الأسواق شاملة الأرزاق عامرة الأمكنة. ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (٦٩٢/٢).

(٣) بلاد واسعة. ذات هواء صحيح. وأهلها أصحاء أشداء، ذات تجارة وخيرات وفيرة، فيها معادن الذهب والفضة، والفيروز، تكثر الخيول، وأهلها مقاتلون. وهي باب بلاد الترك. ينظر/ مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص١١٤.

(٤) سيأتي ذكرهم بمشيئة الله عند الحديث عن روافد تكوين الإمام الغزالي.

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢١٦/٤-٢١٧). الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (١١٥/٣٥).

(٦) ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، (٢٥٢/١-٢٥٥).

(٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ص٢١٧.

(٨) المرجع السابق، ص٢١٩.

(٩) أخرجه ابن حبان في صحيحه، النوع التاسع والثلاثون، ذكر البيان بأن عموم هذه اللفظة "انقطع عمله" لم يرد بها كل الأعمال، ج٥، ص٥٥، رقم (٣٩٦٥).

(١٠) أخ الإمام الغزالي.

(١١) ابن الجوزي، الثبات عند الممات، ص١٧٩.

(١٢) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، (١٢٧/١٧).

(١٣) الشاعر اللغوي، محمد بن أحمد بن إسحاق الأموي، أخذ العربية عن عبد القاهر الجرجاني، من أهل الدين والورع والصلاح، له العديد من المصنفات، وديوان كبير. انظر/ الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد الشبراوي (٢٤٥/١٤).

(١٤) هو العلامة، أبو القاسم إسماعيل الشافعي، صاحب إمام الحرمين، سافر إلى العراق والشام مع الغزالي، وهو مدفون إلى جنبه، ت: ٥٢٩هـ. انظر/ المرجع السابق، (٤٢٩/١٤).

(١٥) الصيرفيني، المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، ص ٨٧.

(١٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب حسن الخلق، ص ١٠٣، رقم (٢٧١)، وقال حديث صحيح.

(١٧) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٥٣/٣).

(١٨) المرجع السابق، ص ٥٥.

(١٩) المرجع السابق.

(٢٠) أخرجه الترمذي في السنن، أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حسن الخلق، ج٣، ص ٥٣٦، رقم (٢٠٠٤)، وقال: حديث صحيح غريب. وقال الحاكم في المستدرك حديث صحيح الإسناد، كتاب الرقاق، ج٤، ص ٣٦٠، رقم (٧٩١٩).

(٢١) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٥٨/٣).

(٢٢) أخرجه الترمذي في السنن، أبواب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حرمة الصلاة، ج٤، ص ٣٦٢، رقم (٣٦٣)، وقال: حسن صحيح.

(٢٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١٠٨/٣).

(٢٤) الغزالي، المرجع السابق، ص ٣٣.

(٢٥) جاء في لسان العرب معنى (النم): التوريش والإغراء ورفع الحديث على وجه الإشاعة والإفساد، وقيل: تزيين الكلام بالكذب. انظر/ ابن منظور، لسان العرب، (٥٩٢/١٢).

(٢٦) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١٥٦/٣).

(٢٧) الغزالي، المرجع السابق، (١٥٦/٣).

(٢٨) المرجع السابق، (١٥٦/٣).

(٢٩) المرجع السابق، (١٥٦/٣).

(٣٠) ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، (١٩٩/٢).

(٣١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، النوع الثالث والخمسون، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم إصلاح ذات البين بين المسلمين ، ج٥، ص ١٤٩، رقم (٤١٦٩).

(٣٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣٠٧/٢).

(٣٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه، ج٤، ص ٢٠١١، رقم (٢٦٠٥).

(٣٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١٩٩/٢).

(٣٥) المرجع السابق، (١٣١/٣).

(٣٦) ينظر: المرجع السابق، ص١٣٢.

(٣٧) المرجع السابق، (٣٦/٣).

(٣٨) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خاليا بامرأة، وكانت زوجته أو محرما له، أن يقول: هذه فلانة ليدفع ظن السوء به، ج٤، ص١٧١٢، رقم (٢١٧٥).

(٣٩) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣٦/٣).

(٤٠) المرجع السابق، (١٥٢/٣).

(٤١) المرجع السابق، (١٥٢/٣).

(٤٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، ج٤، ص ٢٠٠١، رقم (٢٥٨٩).

(٤٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١٤٣/٣).

(٤٤) المرجع السابق، (١٤٣/٣).

(٤٥) أخرجه أحمد في مسنده، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، ج٤١، ص ٥٠٠، رقم (٢٥٠٤٩)، وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤٦) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١٤٣/٣).

(٤٧) المرجع السابق، (١٤٧/٣).

(٤٨) أخرجه الترمذي في السنن، أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الكبر، ج٣، ص ٥٣٣، رقم (١٩٩٨)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤٩) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب لا يؤذي جاره، ص٥٤، رقم (١١٩)، وقال حديث صحيح.

(٥٠) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب قضية هند، ج٣، ص١٣٣٨، رقم (١٧١٤).

(٥١) ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣٧٥/٣).

(٥٢) المرجع السابق، (٣٧٥/٣).

المصادر والمراجع:

١. الأنصاري: زكريا بن محمد، (د.ت)، **المنفرجتان**، تحقيق: عبد المجيد دياب، د.ط، القاهرة: دار الفضيلة.

٢. البخاري: محمد بن إسماعيل ، (١٣٧٩هـ)، **الأدب المفرد**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، القاهرة: المطبعة السلفية.

٣. الترمذي: محمد بن عيسى (١٩٩٦م)، **الجامع الكبير (سنن الترمذي)**، تحقيق: بشار عواد، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

٤. ابن الجوزي: جمال الدين عبد الرحمن بن علي (١٤٠٦ه)، **الثبات عند الممات**، تحقيق: عبد الله الأنصاري، ط١، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

٥. ابن الجوزي: جمال الدين عبد الرحمن بن علي (١٤١٢هـ)، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.
٦. الحاكم: محمد بن عبد الله الحاكم (١٤١١هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.
٧. ابن حبان: محمد بن أحمد البستي التميمي (١٤٣٣هـ)، **صحيح ابن حبان: المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها**، تحقيق: محمد علي وخالص آي، ط١، بيروت: دار ابن حزم.
٨. الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد (١٤٢٧هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: محمد الشبراوي، **د.ط**، القاهرة: دار الحديث، د.ط.
٩. الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد (١٤١٣هـ)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر التدمري، ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي.
١٠. الصيرفيني: تقي الدين إبراهيم بن محمد (١٤١٤هـ)، **المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، لعبد الغافر الفارسي**، تحقيق: خالد حيدر، د.ط ، بيروت: دار الفكر.
١١. ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن تقي الدين (١٩٩٢م)، **طبقات الفقهاء الشافعية**، تحقيق: محيي الدين علي، ط١، بيروت: دار البشائر الإسلامية.
١٢. العراقي: عبد الرحيم، (٢٠٠٠م)، **المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار**، ط١، د.م: دار صادر.
١٣. **الغزالي:** محمد بن محمد بن محمد بن أحمد (د.ت)، **إحياء علوم الدين**، د.ط، بيروت: دار المعرفة.
١٤. مجهول، (١٤٢٣هـ)، **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**، تحقيق: السيد يوسف، د.ط، القاهرة: الدار الثقافية.
١٥. ابن منظور: محمد مكرم، (١٤١٤هـ)، **لسان العرب**، ط٣، بيروت: دار صادر.
١٦. النووي: محيي الدين يحيى، (١٤١٤هـ)، **التبيان في آداب حملة القرآن**، تحقيق: محمد الحجار، ط٣، بيروت: دار ابن حزم.

References in Arabic:

1. Al-Ansari, Zakariya bin Muhammad. (d.t.). Al-Munfarijatan. Ed. 'Abd al-Majid Diab. (d.t.). Cairo: Dar al-Fadila.
2. Al-Bukhari, Muhammad bin Isma'il. (1379 AH). Al-Adab al-Mufrad. Ed. Muhammad Fu'ad 'Abd al-Baqi. (1st ed.). Cairo: Al-Matba'a al-Salafiyya.
3. Al-Tirmidhi, Muhammad bin 'Isa. (1996). Al-Jami' al-Kabir (Sunan al-Tirmidhi). Ed. Bashar 'Awwad. (1st ed.). Beirut: Dar al-Gharb al-Islami.
4. Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din 'Abd al-Rahman bin 'Ali. (1406 AH). Al-Thabat 'Ind al-Mamat. Ed. 'Abdullah al-Ansari. (1st ed.). Beirut: Mu'assasat al-Kutub al-Thaqafiyya.

5. Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din 'Abd al-Rahman bin 'Ali. (1412 AH). Al-Muntazam fi Tarikh al-Umam wa al-Muluk. Ed. Muhammad 'Abd al-Qadir. (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya.
6. Al-Hakim, Muhammad bin 'Abdullah al-Hakim. (1411 AH). Al-Mustadrak 'ala al-Sahihayn. Ed. Mustafa 'Abd al-Qadir. (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya.
7. Ibn Hibban, Muhammad bin Ahmad al-Busti al-Tamimi. (1433 AH). Sahih Ibn Hibban: Al-Musnad al-Sahih 'ala al-Taqasim wa al-Anwa' min Ghayr Wujud Qat' fi Sanadiha wa la Thubut Jarh fi Naqiliha. Ed. Muhammad 'Ali wa Khalis Ay. (1st ed.). Beirut: Dar Ibn Hazm.
8. Al-Dhahabi, Shams al-Din Muhammad bin Ahmad. (1427 AH). Siyar A'lam al-Nubala'. Ed. Muhammad al-Shabrawi. (d.t.). Cairo: Dar al-Hadith.
9. Al-Dhahabi, Shams al-Din Muhammad bin Ahmad. (1413 AH). Tarikh al-Islam wa Wafayat al-Mashahir wa al-A'lam. Ed. 'Umar al-Tadmari. (2nd ed.). Beirut: Dar al-Kitab al-'Arabi.
10. Al-Sayrafini, Taqi al-Din Ibrahim bin Muhammad. (1414 AH). Al-Mukhtasab min Kitab al-Siyaq li Tarikh Nisabur by 'Abd al-Ghafir al-Farisi. Ed. Khalid Haidar. (d.t.). Beirut: Dar al-Fikr.
11. Ibn al-Salah, 'Uthman bin 'Abd al-Rahman Taqi al-Din. (1992). Tabaqat al-Fuqaha' al-Shafi'iyya. Ed. Muhyi al-Din 'Ali. (1st ed.). Beirut: Dar al-Bashair al-Islamiyya.
12. Al-'Iraqi, 'Abd al-Rahim. (2000). Al-Mughni 'an Haml al-Asfar fi Takhrij ma fi al-Ihya' min al-Akhbar. (1st ed.). [n.p.]: Dar Sader.
13. Al-Ghazali, Muhammad bin Muhammad bin Muhammad bin Ahmad. (d.t.). Ihya' 'Ulum al-Din. (d.t.). Beirut: Dar al-Ma'rifa.
14. Majhul. (1423 AH). Hudud al-'Alam min al-Mashriq ila al-Maghrib. Ed. al-Sayyid Yusuf. (d.t.). Cairo: Al-Dar al-Thaqafiyya.
15. Ibn Manzur, Muhammad Makram. (1414 AH). Lisan al-'Arab. (3rd ed.). Beirut: Dar Sader.
16. Al-Nawawi, Muhyi al-Din Yahya. (1414 AH). Al-Tibyan fi Adab Hamalat al-Qur'an. Ed. Muhammad al-Hajjar. (3rd ed.). Beirut: Dar Ibn Hazm.